الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

العجائبي في الرحلة العربية
رحلة أبي راس الناصري أنموذجا

مذكرة معدة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
الشعبة: أدب عربي التخصص: دراسات أدبية

إعداد الطالبات :
- إكرام بن شاوي
- عفاف قندولي
- نعيمة ميخاليف

إشراف الأستاذ:
أ. معاشو بووشمة

السنة الجامعية: 2018/2017

دعـــــــــــاء

"اللهم إنّا نشهدك أنّا سلكنا
طريقا نبتغي فيه علما فسهل لنا
به طرقا إلى الجنة ".
يا رب لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا
نجحنا، ولا باليأس إذا فشلنا،
بل ذكرنا دائما بأنّ الفشل هو
التجربة التي تسبق النجاح.
يا ربّ، إذا جردتنا من المال أترك
لنا الأمل،
وإذا جردتنا من النجاح أترك لنا
قوة العناد،
حتى نتغلب على الفشل وإذا جرّدتنا
من نعمة الصحة أترك لنا نعمة
الإيمان.

يا رب إذا أسأنا إلى الناس أعطنا
شجاعة الاعتذار
وإذا أساء الناس لنا أعطنا
شجاعة العفو.
يا رب اجعلنا من الذين يقدرونك
حق قدرك ويخشونك
واجعلنا نشتغل بما كلفتنا به.
يا رب اجعلنا خير خلائقك في الأرض،
واستخدمنا ولا تستبدلنا.

آمين يا رب العالمين.

شكـــــر و عـ-أ-ـرفـــــــــان

قال تعالى:

« ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ». سورة النمل الآية19

في البداية نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، ونتقدم بعظيم الشكر والامتنان والعرفان والتقدير إلى الأستاذ الفاضل:

" معاشو بووشمة "

لما أولاه من اهتمام عظيم وما تفضل به علينا من نصح وإرشاد وتوجيه ولما بذله من جهد كبير، لإنجاز البحث على هذا الوجه، فجزاه الله خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

ونشكر كل من ساعد في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد وجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

مقدمة

مقدمة :

شهد الأدب نقلة كبيرة عبر العصور، تمخضت عن تطور لون متميز من الأدب ألا وهو الأدب الرحلي الذي بسط أجنحته بقوة في عالم الفن و الإبداع ,فاحتل مكانة مرموقة لا نديد لها,فاهتم الأدباء و النقاد و القراء اهتمامًا كبيرًا ,و بالتالي استحق هذا الإنتاج الأدبي الزاهر أن يعرف بمؤلفات ونسلط الضوء على كتبه القيمة التي تعد حقيقة مكسبًا لابد من حسن استغلاله استغلالاً طيبا ,فكان هذا الأب الرحلي ثمرة تلك الرحلات التي قام بها الرحالة بعدما طافوا مختلف أقطار البسيطة ,لقد تمكن الأدب الرحلي من كشف أسرار الرحالة ,فسرد هذا الأخير كل ما جاءت به أسفاره ,فنقل القارئ إلي جزيرة صخورها تلك الأحداث والمشاهد و الشخصيات التي أثرت على الرحالة فدفعته إلى تسجيلها في قالب فني جميل وقبل أن تبحر في هذا الأدب لاستخلاص خصائصه استلزم علينا أن نطرح جملة من الأسئلة التي تراود أدهاننا أثناء تصفحنا لكتب هذا الأدب الرحلي،ترى ماذا كان يحمل هذا الأدب بين طياته؟ وإلى أي مدى نجح هذا اللون في التأثير على القارئ؟ و ماهي الوسائل والأسلحة التي إستخدمها من أجل الزج بالقارئ في جنة المتعة و التلذذ بقصصه؟

وقد وقع إختيارنا على هذا الموضوع لعدة اعتبارات أهمها الرغبة إثراء الدراسات السابقة في مجال الأدب الرّحلي، و الغوص في دهاليز العجائبية، و نفتش عنها في كتاب أبي فراس الناصري لإخراج هذا المنتوج غلى النور،و معالجة العجائبية حسب منظار هذا العلامة وهو من أهم الرحالة المغاربة لكون هذه المنطقة قد أنجبت أدباء حملوا مشعل الأدب فإستحقوا أن تقدر جهودهم و لو من خلال هذه الدراسة و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على الخطة التالية مقدمة و فصل أول تطرقنا فيه إلى مفهوم العجائبية و الرحلة في اللغة و الاصطلاح إضافة إلى أنواع و أسباب الرحلة،أما في الفصل الثاني فقد إتخدنا من كتب "عجائب الأسفار و لطائف الأخبار" الجزء الأول لصاحبه أبي فراس الناصري نموذجًا لاستخراج و استنباط العجائبية و تمظهراتها ،إضافة إلى خاتمة ،كما إتيعنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي . وجملة من المصادر و المراجع أهمها "مدخل إلى الأدب العجائبي"لتزفيين تودروف، و"العجائبية في أدب الرحلات" للخامسة علاوي إضافة إلى "الإمتاع و المؤانسة"لأبي حيان التوحيدي .

وقد واجهتنا في بحثنا صعوبات أهمها قلة المصادر و المراجع خاصة تلك التي تعطي مفهومًا للهجائية ،وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر لأستاذنا الفاضل على مجهوداته المبذولة في سبيل توجيهنا توجيهًا سليما بفضل غزارة علمه و ثقافته مما سمح لنا بإنجاز هذه الدراسة ،كما هيئ لنا أرضية صلبة مكنتنا من بلوغ مأربنا.

الفصل الأول

الفصل الأول: ضبط مصطلح العجائبية والرحلة في اللغة والإصلاح

المبحث الأول: مفهوم العجائبية

أ- لغة:

ورد تعريف العجائبية في معجم لسان العرب لصاحبه ابن منظور في قول<<عجب، العجب والعجب وهو إنكار مايريد عليك لقلة اعتياده، وجمع العجب أعجاب، وقد عجب منه يعجب عجبا وتعجب، واستعجبوالاستعجابهوشدة التعجب، وفي النوادر، تعجبني فلان وتفتتني أي تصباني، والاسم العجيبة والأعجوبة، والعجب هو الأمر الذي يتعجب منه، وأمر عجيب: معجب، وقولهم: عجب عاجب كقولهم ليل لائل، يؤكد به>>.[1]

- أما إذا نظرنا للاستعمالالقرآني لمادة (عجب) نجد أنها ترد بصيغة أخرى هي(عجاب)وإذا كان ذلك حاصل لمرة واحدة في قوله تعالى:<<أجل الآلهة إلاها واحدا إن هذا لشيء عجاب>>.[2]كما قد شاع بين المفسرين أن لفظة <<عجاب>>هي من مرادفات <<عجيب>> قال صاحب تفسير الجلالين <<إن هذا لشيء عجاب، أي عجب >>[3].

- أما البرجاني(ن 816 هـ) فيعرف العجائبية بقوله:<<العجيب انفعال النفس عما خفي لسلبه>>[4] وهو لا يكون إلا في النادر الوقوع، وإنما سقط للأنس وكثرة المشاهدة.[5]

- أما في «مجمل اللغة لابن فارس(ت 395هـ)، فنجد أن العجاب والعجيب عنده هو شيء واحد، وهو الأمر الذي يتعجب منه، أما العجاب فأكثر منه[6].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب،ج 9، ص 48

[2] سورة هود، الآية 7

[3] السيوطي، جلال الدين، المحلي، جلال الدين، تفسير الجلالين، دار ابن كثير، ط7، 1993م، ص 453.

[4] أبراهيم الأنباري، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1405هـ، ص 85.

[5] القزويني، زكرياء، عجائب المخلوقات، د ط، ص13

[6] ابن فارس، أبي الحسن أحمد بن زكريا، مجمل اللغة، ثح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط2، 1986م، ج3، ص651.

– وقد فرق الخليل بن أحمد الفراهدي (ت175هـ) قبله بين الضفتين قائلا:<<أما العجب فالعجب وأما العجاب فالذي جاور حد العجب، مثل الطويل والطوال، ونقول هذا العجب العاجب أي العجيب والاستعجاب لشدة التعجب>>[1].

– وجاء كذلك في معجم الوسيط: <<العجب روعة تأخذ الإنسان عند إسقطام الشيء يقال: هذا أمر عجب، وهذه قصة عجب، وعجب عاجب: شديد للمبالغة.>>[2]

– أما العجب في المعاجم الفرنسية، فيتردد الحديث في الفرنسية عن العجب وعجائب الدنيا السبع <<LesseptesMerveilles>>، ولايخرج معنى العجيب <<les Mervilles>> في المعاجم الفرنسية في إحدى الدلالتين:

1)– ما يبعد عن مجرى العادي المألوف للأشياء، فيبد ومعجزا وفوق طبيعي.

2)– تدخل وسائط وأشخاص فوق طبيعيين <<surnaturels>> في الأثار الأدبية، هذا معناها في المعاجم الأحادية اللغة.

– أما معنا هذا في المعاجم الثنائية اللغة، فهي تعني المدهش من ناحية، ومن ناحية أخرى تعني الخارق الخارج، وبالتالي حسب هذا المعنى فهي لا تعدو أن تكون إلا ضفة للأشياء الجميلة[3] .

ب – **اصطلاحا:**

– لمصطلح العجائبية مدلولات متعددة، وهذا حسب رؤية كل باحث ودارسين وناقد له، فهناك من يجعل العجائبية مرادفة للدهشة، وهناك من يجعلها مرادفة للوهمي ، أو الخارق، فكل واحد من هؤلاء النقاد يبحث عن أصل لهذه الكلمة، فالعجائبي مرادف لمصطلحات عدة : الغير واقعي وفوق طبيعي، الخارج عن المألوف، فنجد بأن المعاجم

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ج1، ص235.

[2] مجمع اللغة العربية، المجمع الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، د تح، ج2، ص854، مادة(عجب).

[3] الجامعة.

الاصطلاحية الغربية تعرفه على أنه:<<نابع من المخيلة، غير واقعي، كقولنا رؤية عجائبية أي غير واقعية أو قصة فوطبيعية، كمشهد غير عادي لثوران بركان>>[1]

أما العجائبية حسب تزفين تودوروف: << هو التردد الذي يعيشه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فما يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر، إن مفهوم العجائب يتحدد إذن بالنسبة إلى مفهومي الواقعي و المستحيل>>[2].

فمفهوم العجائبي يتحدد إذن من خلال مفهوم الواقع والخيال، وهو يرى أنه لكي تتحقق العجائبية يقتضي أن تكون شروط ثلاثة منجزة: << أولا لابد أن يحمل للنص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كعالم أشخاص أحياء وعلى التردد بين تغيير طبيعي، وفوق طبيعي للأحداث المروية...أخيرا ينبغي أن يختار القارئ موقفا معينا اتجاه النص...>>[3].

يجب أن يجعل القارئ يعتقد أن عالم الشخصيات الموجودة في النص هي كعالم أشخاص أحياء، وأن يتردد بين التغيير الواقعي والتفسير الخيالي، وفي الأخير عليه أن يعبر عن موقفه اتجاه النص، وهو يرى أن هذه الشروط الثلاثة ليست متساوي ، فالشرطان الأول والثالث يشترط تحقيقهما، أما الشرط الثاني فيمكن ألا يتحقق.

أما العجائبي عند الفرنين فهو مأخوذ من الكلمة اليونانية <<Fantasticos>> وتعني كل ماله علاقة بالمخيلة[4].

ونجد أن المعاجم الفرنسية تأخذ<<Fantasticos>> كمصطلح مرادف للمدهش تارة، والخارق الخارج عن العادة تارة أخرى، وبكل ما يحمل ويملك صلة بالأسطوري والوهمي والخيالي، وقد ينزاح إلى معان أخرى كأن يأخذ: <<الشكل الفني والأدبي الذي يستدعي العناصر التقليدية للعجيب...ويبرز اقتحام اللاعقلاني l'irrationnel للحياة الفردية والاجتماعية>>[5] ، أي أن العجائبي هو تلك القصص أو الروايات التي تأخذ من الحياة

---

[1] الخامسة علاوي، العجائبية في أدب الرحلات، منشورات جامعة متنوري، قسنطينة، 2008-2006ص36.

[2] تزفين تود وروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوغلام، ط1، مراجعة محمد برادة، شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص44.

[3] المرجع نفسه ص 49.

[4] الخامسة علاوي، العجائبية في أدب الرحلات، منشورات جامعة متنوري قسنطينة، 2005-2006، ص36.

[5] المرجع نفسه ص36.

القديمة للشعوب وتحاول أن تلم بهذه القوالب الأدبية الفنية، مما يجعل اللاعقلاني إحدى المميزات البارزة في هذه القوالب والأشكال. حيث يصبح العجائبي لونا من ألوان السجر اللاواقعي، كما أنه برق خاطف للأبصار وموجة عالية تخفي كل ما هو طبيعي ومألوف وتجعل الإنسان مأخوذا بسحر هذا الكوكب المضيء لحياة الإنسان الطبيعية، فهو نتاج التفكير–العجائبي–المشبع بالأساطير لدى كل الشعوب، وبشكل خاص الشرقية منها، وقد اندرجالعجائبي بالدرجة الأولى <<ضمن تراث الأساطير والفولكلوريات الثقافية>>[1].

تعد العجائبية تقنية يستعملها الأدباء، وقد تسلل هذا المصطلح ميدان النقل عبر مفاهيم متعددة، حيث قام العلماء والنقاد الغربيون بعمل حاسم في تحديد مفهوم جامع مانع له. فنجد أن <<جورج كاستيكس>> هو أول من طرح مسألة تعريف الفانتاستيك، حيث اعتبره<<الشكل الجوهري الذي يأخذه العجيب عندما يتدخل التحليل في تحويل فكرة منطقية إلى أسطورة، مستدعيا الأشباح التي يصادفها أثناء تشرده المنعزل>>[2].

نلاحظ أن هذا التعريف يطرح ثنائيتين هما العجيب، وهو شكل جوهري وذلك من خلال أنه يحول أية فكرة منطقية إلى أسطورة. أي يؤكد ثنائية: المنطق (العقل)/الأسطورة(الخيال)، وثاني فكرة أنه يقوم على استدعاء الأشباح، وهي مظهر من مظاهر اللامرئي، وهو من خصائص العجائي، وذلك عن طريق استدعاء الأشباح في جو منعزل يميل إلى الموقف النفساني الذي يغسه المتلقي، ويرى كاستيكين أنه من أهم مظاهر نشوء العجائبي<<الحلم والوسواس والخوف والندم وتقريع الضمير، وشدة التهيج العصبي والعقبي، وكل حالة مرضية>>[3] جاعلا إياه <<Le Fantastique>>يتغذى على الوهم والخوف والهذيان، مؤكدا أنه لا يبقى على حالته التي ظهر بها، ولكنه يزهر في حقب لاحقة ليستجيب لنمط الحياة المعاصرة [4] ولذلك اعتبر العجائبي وهما.

[1] محمد سالم محمد الأمين، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر- دراسة نظرية تطبيقية في سيما نطيقيا السرد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008، ص 50

[2] الخامسة علاوي، العجائية في أدب الرحلات، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2005–2006، ص36

[3] المرجع نفسه ص 36

[4] piére-Georges castex, Anthologie du conte fantastique françaicslilraiejosécorti,paris 2004,p6

ترى <<إيرين بيبسير>> أنه <<القصد الأدبي للفانتاستيكي هو بالطبع قصد تناقضي يصطلح لمزج لاواقعية بواقعية ثانية، فيصبح الإبهام فانتكاستيكما لتركيب احتمالين خارجيين، الأول عقلي تجريبي أي القانون الفيزيائي، والذي يماثل التحفيز الواقعي، والأخر عقلي مية تجريبي(الميثيولوجيا).والذي ينقل اللاواقع على مستوى فوق طبيعي>>[1].

ومما تقدم فإن بيبسير تحاول تقديم نظرة جديدة للعجائبي، فبرأيها يتفق مع سابقتها من خلال العناصر المشتركة في كل تعريف لعالم أو ناقد، فالعجائبي عندها مرتبط بعاملين هما الأواقع والواقع، وقد صاغته بأسلوب جديد، حيث نجد بأنه في تعريفها مصطلحا جديدا يكون بالتناقض بين الواقع واللاواقع أو يتغير جديد الإيهام الذي يتركب من احتمالين، وهو شيء جديد: عقلي تجريبي/عقلي ميتا–تجريبي(الميثولوجيا) وبتركيب هذين الاحتمالين ينتج لنا العجائبي بصورة كاملة.

المبحث الثاني: مفهوم الرحلة وأنواعها

تعريف الرحلة:

– لغة:

يعرّف الفيروز أبادي في القاموس المحيط الرحلة بقوله: <<الرحلة مركب البعير كالراطول، جمع أرحل والرحالة ككتابة: السرج ومن جلود لا خشب فيها، يتخذ للركض الشديد. ويعبر ذو رحلة بالكسر والضم: قوي وجمل رحيل قوي على السير، وارتحال البعير، سار ومضى والقوم عن المكان انتقلواوالاسم الرحلة بالضم و الكسر>>[2] .

جاء عند ابن فارس في <<مقاييس اللغة>> في مادة <<رحل >>، الراء والحاء والام أصل واحد يدل على ممضي في سفر يقال رحل، يرحل، رحلة. وحمل رحيل: ذو رحلة، والرحلة: الارتحال.

---

[1] شعيب حايفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، دار الحرف للنشر والتوزيع، المغرب، ط2، 2007م، ص34

[2] بحر الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي البيكرازي، القاموس المحيط، ج3، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1301هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979م، ج3 مادة "رحل"، باب اللام فصل الراء، ص371.

الرحالة المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى. ورحلة إذا أطعنه من مكانه، ومعنى الرحلة والرحلة: القوة على السير[1]>>.

-إذا اعتبرنا أن الحجم الذي تحتله مادة ما في معجم لغوي دليل على أهميتها، فإن مادة "رحل" نالت اهتماما خاصا عند ابن منظور صاحب "لسان العرب"، باعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع، كما أنها تنبع من واقع البيئة العربية، حيث جاء في لسان العرب:<<الرحيل والإرحال بمعنى الأشخاص والإزعاج، يقال: رحل الرجل إذا سار، وأرحلته أنا، ورجل رحول، وقوم رحل: أي يرتحلون كثيرا. ورجل رحال: أي عالم بذلك مجيد له... والرحالة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأجمال... فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق، حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل، وهو راحل من قوم رحل، "والترحل"و"الإرتحال": الانتقال[2]>>

– ومنه نلاحظ أن مشتقات المادة كلها تصب في مفهوم الحركة، فالرحلة عبارة عن معركة وانتقال، كما نلاحظ أن التقليبات المختلفة للمادة لرح، لحر، رحل وغيرها غير مستعملة في العربية، ولعل هذا راجع إلى استئثار تلك المادة– بهذا الترتيب – بالنصيب الأوفر من حيث الاستخدام، مما أدى إلى الجور على التقليبات الأخرى.

– كما أن اسم الفاعل من "رححا": راحل، وصيغته المبالغة: رحال، وهذه الصيغة كانت اسما أو لقبا لبعض الجاهلين كعروة الرحال الذي كان سببا في يوم القجار.

– الرحلة في الاصطلاح:

– هي الانتقال الذي يقوم به الرحالة من مكان إلى مكان أخر، على سبيل الهواية أو الاحتراف، مهما كان الدافع، ومهما كان الغرض، مهما كان الزمان ومهما كان المكان والمسافة.<<فالرحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض، قد لا يتجاوز مسافة قصيرة أحيانا، وقد تمتد وتطول حتى تغطي أطول المسافات بين المكان والمكان الأخر[3]>> .

---

[1] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، د ط، د ت، مادة "رحل" ص ص 497–498.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، مصر، ط1، 1415 هـ، 1995م، ص23.

[3] صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، دار نشأة المعارف، الإسكندرية مصر، ط2، 1999م، ص7.

– إن ارتباط الرحلة بالسفر يستدعي الحضور القوي الامتداد الزمني والفضاء المكاني فيها عندما تنقل إلى خطاب أدني، قابل للدراسة والنقد والتحليل.

– والرحالة في الرحلة يبرز وجوده ويأصل من خلال الأنا، وينفتح من خلال الأخر في تناغم وتفاعل مع الرحلة كفعل، وأحداثها كواقع وهو الأمر الذي يسمح له ينقل هذه الحركة، وهذا الواقع المحيط به، والمتقايس معه، إلى كتابة تختلف دون شك، من رحلة إلى أخرى، تبعا لاختلاف طبائع الرحالة، مدى تمكلهم من تقنية الكتابة، تلك الكتابة التي تجعل الرحلة نصا قائما له عناصره ورؤاه، فالرحلة التي تخضع للدراسة و يتعامل معها النقاد إذا، هي تلك التي لا يمكن أن تكون إلا <<نصا سرديا، يتراوح بين قطبي الواقعي والخيالي، بأسلوب يسجل ويصف رحلة انتقال السارد المؤلف من فضاء لأخر داخلي أو خارجي على المستوى الفعلي[1]>> .

– وقد عرفت الرحلة في الاصطلاح من طرف بطرس البستاني بأنها: <<انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان أخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة[2]>>.

–كما عرف الإمام الغرابي الرحلة بأنها:<<نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة، أو نوع حركة ومخالطة، كما يبين لنا ان الفوائد الباحثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، و أن الإنسان لا يسافر إلا في فرص، والفرص هو المحرك.>>[3]

– وقد تقدم الدكتور صلاح الدين الشامي خطوات عندما اعتبرها: <<إنجاز أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الأخر، ويأتي هذا الإنجاز من أجل هدف معين، ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر... وقد تكون الرحلة هواية تتشبع حاجة الإنسان وترضيه، وقد تكون احترافا يخدم حاجة الإنسان وتشبعه، ولكنها تكون –في الحالتين– استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة تدعو بكل الإلحاح للحركة والتنقل>>[4] .

---

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي– التجنيس وأليات الكتابة وخطاب المتخيل–، الهيئة العامة لقصور الثقافة، دط، دتح، ص69.

[2] بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة المعارف بيروت، لبنان، 1884م، 564/8.

[3] الإمام الغرابي، إحياء علوم الدين، مكتبة الدعوة الإسلامية القاهرة، مصر، م–د.ت.245/2، 250/2، 260/2.

[4] صلاح الدين الشامي، عالم الفكر، يناير 1983م، الكويت، ص13.

– ومنه نستنتج أن التعريفات السابقة تجمع على أن التنقل والحركة هي جوهر الرحلة، هذه الحركة تمتاز بأنها مصحوبة بهدف، يتمخض عنها اكتساب مهارات وخيرات فكرية وعلمية ناجمة عن المخالطة، وبذلك يكون القاسم المشترك بين التعريف اللغوي و الاصطلاحي للرحلة يمكن في <<الحركة>> باعتبارها مكون أصيل من مكونات الإنسان، فهي دليل على الحياة، كما يقول <<ياقوت الحموي>>: <<السكون من دلائل الموت، وأن نتحرك حركة ضعيفة يؤمل أن تقوى، أحب إلي من أن تسكن[1]>>

وعند أبي حيان التوصيدي :<<أوضح برهان على كل موجود حي[2]>>.

بل إن من يترك حركة ولو بسيطة يستحق مكافأة لأنه انتقل من مكان إلى مكان أو فكر في أن يترك الأرض التي ضاق بها أو البيت الذي مل الإقامة فيه>>[3].

– كما أنه يجب التنبيه على أن هذه الحركة تكون على المستويات كافة وليس المستوى البدني فحسب، فلابد أن تشتغل عليها جميع الحواس بانتباه وتركيز حتى يتمخض عن ذلك الوصف الدقيق والحيد للرحلة.

– الرحلة المكتوبة تستدعي سفرا حقيقيا وفعليا ولا يمكن تصور كتابة رحلية دون القيام برحلة إلا في الرحلات الخيالية، "كرسالة الغفران" لأبي العلاء المعري (ت 449 هـ) "ورسالة التوابع والزوابع" لابن شهيد(ت426هـ) <<والتوهم>> للحارث المحاسبي (ت243.هـ)[4].

– أنواع الرحلة:

–يمكن لنا تقييم الرحلة إلى قسمين رئيسيين وهما، الرحلة الواقعية المباشرة بمعنى الحقيقي والنوع الثاني يتمثل في الرحلة الخيالية.

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان،دارصادر، بيروت،1986م،ح420/2.

[2] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، 1953م، ح/156.

[3] أنيس منصور، غريب في بلاد عربية، دار الشروق القاهرة، مصر، 1975م، ص5.

[4] حميلة روباس، ادب الرحلات في المغرب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014.

1)- الرحلة الحقيقية(الواقعية المباشرة):

- وهي عبارة عن رحلات فعلية ذات علاقة مباشرة تقوم على الانتقال من مكان مألوف إلى مكان اخر غريب، يتقض فيه الرحالة المسالك والممالك وأخلاق الناس وطباعهم، بل حتى مأكلهم ومشاربهم، وهذا النوع نجده في الرحلات القديمة والحديثة، فقام الرحالون بتدوين زياراتهم للبلدان التي ذهبوا إليها، وتدوين وتسجيل ملاحظاتهم على الشعوب التي تعاملوا معها وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتها، وهذا التدوين يمتاز بدقة الملاحظة وسعة الاطلاع[1] وتنوع الرحلات الحقيقية بتنوع أغراضها، ومن أمثلها: الرحلات الحقيقية أو الحجازية. وهي عبارة عن رحلات موسمية للحج إلى بيت الله الحرام، وترتبط الرحلة الحجية بثلاثة مشاهد أساسية: الأول مشهد الخروج، فيكون الخارج ضمن ركب منظم يراسه متخصص عارف بالطريق يوصف بالأمانة والحنكة والتقوى، وحسب الأمور، ثم يأتي بعد ذلك مشهد المسير ثم مشهد الوصول[2].

ومن بين الرحلات الحجازية رحلة ابن بطوطة، رحلة العيدري وابن جبير والورتلاني وغيرهم.

2)- الرحلة الخيالية:

- يعرفها محمد النزنجي في المعجم المفصل بانها:<<نوع من القصص الخرافي والأسطوري كما كتبه الأدباء معتمدين على خيالات مجنحة وأساليب متشوقة قصدا من ذلك التسلية وخلق أجواء من بناتحتالهم لإثارة المغامرة وتوسيع الخيال[3]>>.

- نلاحظ من خلال التعريف بأن محمد التونعي قد وسم هذه الرحلات بنوع من العمومية المطلقة.

- أما شعيب حليفي فقد وسم رحلاته بنوع من الخصوصية على عكس محمد تونعي، جاعلا لمظهرها ابرز ما يكون في تلك الرحلات الباطنية التي يقوم بها المتصوفة والتي<<تتطلب تجربة معيشية على المستوى الواقعي، وأخرى ذهنية لعالم متخيل، يصنع إلى صموغ أفكار وتأملات معينة تتماس في بحثها عن عالم أخر يكون بديلا عن الواقع، وصولا إلى المطلق واليقين.[4]>>

---

[1] ينظر: مكي، أحمد الظاهر، الأدب المقارن –أصوله وتطوره ومناهجه–، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987م، ص322.

[2] ينظر: عامر فتحي، قراءة في كتاب "الرحلة في الأدب العربي"-التحنيسواليات الكتابة وخطاب المتحيل"لصاحبه شعيب حليفي، متاح على الشبكة www.el-Rayan.Com(2004/09/15

[3] ينظر: مكي، أحمد الظاهر، الأدب المقارن –أصوله وتطوره ومناهجه-، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987م، ص322.

[4] ينظر: عامر فتحي، قراءة في كتاب "الرحلة في الأدب العربي"-التحنيس واليات الكتابة وخطاب المتحيل"لصاحبه شعيب حليفي، متاح على الشبكة www.el-Rayan.Com(2004/09/15

– ومنه فالرحلة الخيالية عبارة عن انتقال متخيل للأدب عبر الخيال أو العلم إلى عالم مفارق عن الواقع، فيتحدث فيها عن أحلامه ورؤاه التي تتحقق في الواقع[1].

– وقد حصر الدكتور محمد الصالح سليمان في كتابه<<الرحلة الخيالية في السفر العربي الحديث.>> أشكال الرحلات وهي:

1)– الرحلات إلى عالم الموت والآخرة.

2)– رحلات إلى عالم المدن المسحورة وعالم الجن.

3)– رحلات إلى العالم العلوي.

– وهذه الأشكال الثلاثة تعتبر عريقة عراقة الأساطير التي كثيرا ما روت عنها، كما أن هذه الرحلات الخيالية لم تكن حكرا على شعب وبيئة معينة.

أسباب الرحلة :

هل يمكننا القول بأن تطور الإنسان مرتبط بترحله من مكان إلى آخر ؟ وهل نستطيع الجزم بأنه لولا تنقل الإنسان بين مختلف الأصقاع لما تغير تاريخ العالم ؟ إنهما تساؤلان يلحّان على أذهاننا ونحن نرصد العوامل والمؤثرات التي تحث الإنسان على الارتحال أو الهجرة من مصر إلى غيره ، وما من شك أن معرفة الآخر واكتشاف العالم المحيط بنا يشكل أبرز عوامل هذا التنقل، غير أن حس المغامرة وراء المجهول ، أو تحقيق أهداف مادية أو مثالية يظلان دافعين حاضرين في أغلب ما نقوم به من رحلات « ولكنها أي الرحلات تكون في الحالتين استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محدودة تدعو بكل إلحاح للحركة والانتقال من مكان إلى مكان آخر بمعنى أن من نشأة دوافع معينة أن تدعو الإنسان : الفرد أو الجماعة دعوة صريحة وملحة ، لكي يخترق حاجز المسافة ، ولكي يتحمل مشقة السفر ومتاعب الاغتراب وصولا إلى غاية مباشرة أو تحقيق هدف معين »[2] . ولعلّ هذه الرحلات تشقي

---

[1] سليمات، محمد الصالح، الرحلة الخيالية في السفر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، المغرب، دط، 2004م، ص9.

[2] صلاح الدين الشامي , الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة , مجلة عالم الفكر , شتاء 1983 , الكويت ص 13

الإنسان وتغيّر من أنماط حياته وتفكيره وإنتاجه، إلا أنها ظاهرة طبيعية مميزة له ، فالحركة رمز للتحرر بمفهومه الوجودي أو الطبيعي ، والالتزام بمكان قار رمز للجمود المادي والعقلي إن الترحل شقاء ولكنه شقاء في طياته نعمٌ ، وهذا ما يبدو جليا في قول "باسكال" : " السبب الوحيد لشقاء الإنسان هو أنه لا يعرف كيف يستقر هادئا في حجرته"[1].

وبتأمل تاريخ العالم العربي والإسلامي نجد أن المغاربة كانوا أكثر تنقلا وترحلا من سائر العرب والمسلمين، وقد كانوا منذ القديم أهل سفر وترحال، ولعل الموقع الجغرافي ساعد على ذلك، حيث كان المغرب في أقاصي بلاد الإسلام "ولهذا انتظمت رحلات المغاربة الأقطار المختلفة شرقاً وغرباً , بلاد إسلامية وغير إسلامية" ، ويمكن أن نضيف إلى الدافع الديني وموقع العرب، الدافع العلمي ، فالرحلة شرط من شروط اكتمال المعارف ووسيلة للقاء الشيوخ، أما الدافع التجاري يرجع الفضل فيه إلى الموقع الجغرافي ، فالمغرب ممر للطرق التجارية الكبرى. وكانت أغلب رحلاتهم تيمم وجهها شرط المشرق والأماكن الإسلامية المقدّسة، إذ على الرغم من وقوع بلادهم في أقصى الغرب الإسلامي إلا أنهم كانوا يتجشّمون كل وعرٍ في البر والبحر قصد زيارة مهد الدين والفاتحين الأوائل، والحق أن الدارس المتأمل في تاريخ المغرب العربي الإسلامي يلفت نظره بشدة هذه الظاهرة المميزة لأهل المغرب طيلة الوجود العربي الإسلامي بها.

إذًا ثمة دوافع متنوعة وراء قيام علماء الغرب الإسلامي بالرحلة ، وربما تكون هذه الدوافع وراء تحديد اتجاهات الرحلات وتصنيفها لديهم ، "علما أن الدافع إلى الرحلة والتجوال هو بعد المغرب والأندلس عن المشرق العربي، وبما أن بلاد الحجاز هي مهد الحضارة العربية الإسلامية ومهبط الوحي، فالحج كان ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها الناس عامة والعلماء والفقهاء خاصة"[2]، فالدافع الديني يعدّ أقوى الدوافع المحركة للرحلات المغاربية إلى المشرق العربي، خصوصا وأن بلاد الغرب الإسلامي عرفت جوا روحيا خاصا، حتى أصبحت المقاييس الدينية متحكمة في كل نواحي الحياة.

---

[1] الحسن الشاهدي , أدب الرحلة بالمغرب العربي في العصر ألمرني , ج1 , ط2 ,منشورات عكاظ , المغرب , 2002, ص48.

[2] نواف عبد العزيز الجحمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي ، ص 24.

المبحث الثالث : العجب المكاني

إن استقرائنا لنصوص الأدب الرحلي يجعلنا نغوص في أعماقه بدافع المتعة والتشويق لنستخرج من بطنه أسرار هذا العالم العجائبي، عالم يرتكز "مفهوم العجائبية" على تلك الشخصيات العجائبية السابق ذكرها، بل اعتمد أيضا على عناصر قوة أخرى، انتبه إليها الرحالة أثناء أسفاره فتعلق قلبه بها، وخلقت عنده إحساسا متميزا، تولدت الدهشة والتعجب من هذا الواقع الذي امتزج بكل ماهو عجيب وغريب. فلم يتحمل الرحالة مقاومة هذه الصور المستقاة من مناطق عدة، والتفاعل معها بتسجيل كل مكان أو معلم مختلف عن المألوف فأبدع في وصفها. وخير مثال نضربه في هذا المجال هو مدينة وهران المدينة الجميلة والعجيبة التي اقتحمت الساحة الفنية وافتتن بها الأدب الرحلي واستقطبت أنظار الرحالة فاهتزت لها قلوبهم طربا، فاعتبروها مدينة عجيبة بمحاسنها وبنيانها الشامخ الجذاب كما خصها الله عزّ وجلّ من الينابيع وغدق السُّقيا حتى تكالبت عليها الغزاة، ودنستها أقدامهم لكن بفضل الله تحررت واسترجعها سكانها، لكونها جوهرة سحرت عيونهم وتعلقت بها أفئدتهم فهي عروس الجزائر وآية من الجمال الخلاب، بالإضافة إلى كونها مدينة عريقة لذيذة الهواء وكريمة المنبت، عجيبة بأسوارها الشامخة وعمرانها المتميز، وخير ما قيل عنها « وعن عمارتها يقول " هي ذات أسوار وأشجار وعيون وبناء لما يوجد مثله ولا يضع واضع شكله " ثم يصفها قائلا "لو رأى بناءها صاحب تاريخ مصر لعدها من أعجوبات الزمان ... ولو رآها الغزال صاحب الرحلة لما اعتنى بوصفه سبته وطليطلة . ثم تبحرت في العمران وتدعمت أسوارها ، قصدها العلماء والتجار والأشراف والعساكر"، وعن أبراجها يقول "قلعة مرجاجو الشهيرة الفذة الجامعة الكبيرة يقلّ مثلها في الوجود وتتيه على قلاع بني حمود.."[1] وبهذا صنّف الرحالة مدينة وهران في قائمة المدن العجيبة لانبهارهم بعمرانها وطبيعتها وأسوارها وكأنها جنة فوق الأرض ، فجعلها مدينة عبور مختلفة عن المدن الأخرى، فهي تمثل صورة جديدة لم يعهدها من قبل ، فتولّد لديه إعجابا كبيرا ، ولم يقاوم جمال وهران وعمرانها المتميز ، فترتّب عن ذلك انفعال شديد دفعه إلى نقش اسمها على صفحات الكتب وتصنيفها ضمن عجائب الدنيا. ولم تكن وهران هي المدينة الوحيدة التي زعزعت مشاعر الرحال ، بل

[1] عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص38.

هناك أماكن أخرى أثرت في الرحال لأنها خارقة للعادة والمألوف ، فذكرت في الأدب الرحلي مثل سور بابل العظيم الذي سحر الرحال فتأثّر بهذا المشهد الغير مألوف فطفا هذا الإعجاب على سطح الأدب الرحلي ليعلن عن وجود أماكن عجيبة لا بدّ من بلوغها واكتشافها ولو من خلال هذا الأدب الحافل بالعجائبية ، كما في روايات الرحالة : "وقال هرشيوش مؤرخ الروم كان سور بابل في دوره ثمانون ميلا وارتفاعه مائتا ذرع وعرضه خمسون، ومادة تشييده من الآجر والرصاص، يتخلله مائتا باب من النحاس، في علوه مسكن الحرس وعلى جانبيه العساكر وحوله خندق عميق تملأه مياه الفرات"[1].

كما تأثر الرحالة بحالة بعض الأماكن، ومن أشهر المدن التي نسبها الرحالة إلى العالم العجائبي لا لعمرانها أو سورها أو برجها وإنما لتاريخها العريق ، وظروف تشييدها، حيث كانت أول مدينة عرفها تاريخ البشرية وهي مدينة "**ثمانين**" التي ظهرت فوق البسيطة بعد حادثة الطوفان الشهيرة كما جاء في إحدى الروايات (وأول مدينة بنيت على وجه الأرض ثمانين بجبل الجودي وذلك أن أهل السفينة مع نوح عليه السلام ثمانون فكل واحد بنى دارًا فلذلك سميت ثمانين، فهي أول مدينة بنيت بعد الطوفان خرج منها جماعة من العلماء والشعراء) ، كما استوقفت الأندلس الرحالة وفتنتهم بمُدُنها التي كانت مسرحا للعجائبية بطبيعتها الغَنّاء وقصورها الفخمة، فاتخذوها ميدان مراحهم ومضمارا لانشراحهم، فبرزت على شكل صور فنية مبهجة وعجيبة لتسبح بالقارئ بعيدا في رحاب العجائبية بين أحضان الحدائق الفسيحة، وعبق الأزهار وأريج الورد الفتان وتبحّر العمران، ما من شك أن كل هذه المحاسن التي حبت الطبيعة بها هذه البقعة من الأرض أي الأندلس كان لها الأثر القوي في عقول الرحالة والأدباء والقراء على حد سواء، ومن أعجب المدن الأندلسية التي أضيفت إلى قائمة عجائب الأماكن هي مدينة الخيزرات الرائعة بقصبتها التي داعبت الرحالة بسحرها مداعبة الأمواج للسباحين وخير ما قيل فيها (و حكي الغزال في رحلته إلى الأندلس سنة 1179 قال :"شاهدنا من حاكم مدينة الخيزرات وهي المعروفة عندنا بالخضراء وقاضيها وغيرهم من الميل إلى الإسلام ما لم ترهم لغيرهم، ودخلنا مدينة طريفة على شاطئ البحر وسورها طويل من بناء المسلمين. ولما وصلنا قصبتها وجدناها باقية على ما تركها المسلمون، بها 18 برجا وقدر ارتفاع السور والأبراج عشر قامات، وبناء القصبة من حجر

[1] عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص 123.

منحوت شبيه بالرخام وبأعلى بابها خامة مكتوبة بخط كوفي "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ")[1].

وكان لمدينة أشبيلية شأن عظيم ، فهي الأخرى قُدِّرت تقديرا كبيرا وأُدرِجت ضمن المدن العجيبة التي تغنّى بسحرها الأدباء، فقيل عنها (" وقال : ولما دخلنا أشبيلية شاهدنا من عظيم بنائها وبارتفاع جدارها وتعدّد الصوامع بها ... وفي اليوم الثالث من دخولنا للجامع الأعظم ... وله خمسة وعشرون ناقوسا وأكبرهم فيه 185 قنطارا وقيل أنه يسمع صوته مسيرة يوم")[2].

فما أكثر المدينة الغريبة بالأندلس التي لا مثيل لها ، لأنها انفردت بالجمال الباهر والسحر العجيب، فيجبر الرحال على تسليط الضوء عليها والحديث عن كل ما هو عجيب فيها، فلم ينسوا مدينة قرطبة الرائعة وخير ما قيل فيها (ودخلنا مدينة قرطبة وهي مدينة عظيمة هائلة مشيّدة على شفير الوادي الكبير الجامع لأودية الأندلس ، ويشرفها جبل غير شاهق وهو معمور ببساتين لا يأتي عليها حصر... ومسجدها أعظم مساجد الإسلام ، طوله ستمائة قدم وعرضه 345 قدما ، وفيه لوحتان متصلتان بالأرض مكتوب على كل منهما البسملة والصلاة ...)[3].

المبحث الرابع : العجب الزماني

بقدر ما كان الأدب الرحلي يعج بالعجائبية بقدر ما كانت أنواع العجائبية متعددة بتعدد ثقافات الرحالة وإدراكهم للا مألوف عندهم، وقد اعتنى هذا المنتوج الأدبي بكل الأحداث الغريبة التي عاشها في ظلالها الرحالة، فوظفها كسلاح قوي ومغري لتشويق القارئ من جهة وتحقيق التواصل الواسع قصد خلق متعة الاستماع والتخيل ليحلق القارئ في أجواء الفضاء العجائبي الذي صنعه الأدب الرحلي، فالأدب ينطلق من الواقع بأعاجيبه وغرائبه لنقل القرّاء إلى عالم بعيد عن المحيط المعاش، عالم يحمل بين طياته قصص فريدة من نوعها، فيجبر القارئ على تصديقها والاقتناع بها فيسلّم بها ، وهذا ما يحفّزه على مواصلة قراءته لاكتشاف

[1] عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص 134.

[2] المرجع نفسه، ص 135.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أسرار هذا العالم وخباياه، وهكذا يتعلق الكاتب بهذا اللون الأدبي. ومن أغرب الوقائع التي تطرّق إليها الرحال هي ولادة سبعة عشر ولدا في يوم واحد، وكان ليوسف أربعمائة جارية (ولما ذهب المعز العبيدي إلى مصر، أسلم إليه إفريقية والمغرب وأمر الناس بالسمع والطاعة وأوصى بأمور كثيرة، وسمّاه يوسف، ولما شيّعه من القيروان إلى أسفاقس قال له لما أمره بالرجوع "إن نسيت وصية فلا تنسى ثلاث أيا كان: أن ترفع السيف عن البربر ولا توالي أحدا من أهل بيتك فإنهم يرون أنهم أحق بالأمر منك، وكان له أربعمائة جارية حتى أن البشائر وفدت عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولدا، وهذا لم يُسمع مثله)[1].

فمثل هذه الأحداث الغريبة والمثيرة هي المصدر الأساسي الذي يرتوي من ينابيعها الأدب الرحلي. فيستمد منها طاقته المشعة لإطراب القارئ فيتفاعل هذا الأخير مع سلسلة جديدة من الأعاجيب ويشارك الرحالة في رحلته ليغذي فضوله وجبروته ، ويعيش معه لحظات الانفعال والتفاعل مع هذه التجربة الشيقة.

فغرض الأدب الرحلي لا يقتصر على الإخبار عن المشاهد وعجائب الأماكن والمعالم التي أثرته ، بل تتعدى هذه الوظيفة الإخبارية إلى وظائف أخرى ، نذكر منها الوظيفة الإغرائية التشويقية ووظيفة التجديد بابتكار وسائل أكثر فعالية المتمثلة في عجائب الدهر وغرائبه، ليسبح هن جميل مختلف وتطوير الأدب الذي اعتمد على الواقع لنقل اللامألوف منه لإدخال تغييرات على الأدب العجائبي بمفهومه المعروف الذي يرتكز عموما على الشخصيات الغيبية الخيالية التي لا تنتمي إلى عالمنا المألوف، كتلك التي عجت بها حكايات ألف ليلة وليلة، من غول التي لا وجود لها في أرض الواقع، بل هي من إيحاء خيال الأديب الخصب، لكن إقحام مثل هذه الشخصية الخيالية بصورة مبالغ فيها والإكثار منها قد يعيب هذا النوع من الأدب العجائبي الذي قد تصبح قصصه مملة نوعا ما ، لا يصدقها الطفل الصغير. وهكذا جاء الأدب الرحلي ليعلن ثورته على الشخصيات الوهمية لتحلّ محلها شخصيات واقعية يجسدها الإنسان بقدراته الخارقة وأعماله التي تتحدى أفق المألوف.

[1] عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص 105.

إن النص الرحلي قد عكس المظاهر التي تطبع العصر وتميزه عن سواه لترسيخ معارف القارئ عن العصور المتعاقبة وما سادها من عجائب الزمان، لتنمية ملَكَة التعامل مع الأحداث الغريبة لتؤهله للتفاعل مع وضعيات الحياة بصورة إيجابية.

فالنص الرحلي هو تحصيل حاصل لما يجري على ساحة الحياة ، يرصد كل الأحداث اللامألوفة التي يتوافر عليها العصر لكشف كوامن الزمان واستثمارها في الإنتاج الأدبي.

والحديث عن غرائب الزمان شيق للغاية حيث وقعت أحداث متنوعة أذهلت العقول استسلمت لها القلوب والتي نذكر منها حدث طريف وقع لامرأة وضعت بقدر الله عز وجل عشرة أولاد بطن واحد. كما ورد على لسان الرحال (أن امرأة وضعت عشرة أولاد في بطن واحد فجعلهم أبوهم على مائدة وذهب بهم إلى الأمير فأعطاهم ألف دينار فبنى لهم أبوهم عشرة دور أنظر بعض شروح الفرائض)[1].

فمثل هذا الخبر قد ينتشر انتشارا واسعا بين الناس فيصبح موضوع حديثهم لأيام أو شهور لأن الأمر غريب جدا قد يولد الحيرة لدى سامعه، فمثل هذه الوقائع قد تحدث مرة واحدة عبر الزمان وقد لا يتكرر فلم نسمع عنه من قبل وقد لا نسمع عنه من بعد، حدث ما لم يحدث مثله قط، فسر عجائبية هذا الحدث هو كونه فريد من نوعه يصعب تصديقه ورغم ذلك فيتقبله السامع لأنه وقع بالفعل إيمانا بمعجزات الدهر وقدرته سبحانه وتعالى التي تجلت في إحداث ما يعجز المرء أن يحدثه. فمثل هذه العجائب تطبع الأدب الرحلي بطابع خاص وتجعله أكثر إثارة فتدوح بمشاعر المتلقي الذي قد يتلذذ في نعيم متعة هذه الرحلة التي تسرد أخبارا غريبة لكنها مستقاة من واقع الإنسان فلن يحتاج الأديب أن يحلق في الخيال لإثراء منتوجه الفني بل جمع كل بحدث هنا وهناك من عجيب ولأحداث ليخلق جوا لطيفا ينسجم في وسطه القارئ.

[1]- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص158.

المبحث الخامس : العجب الأداتي

لقد استعرض الأدب الرحلي وسائل شتى ذات بعد عجائبي أشعلت نار الإغراء والتشويق في قلب القارئ ليقتحم هذا الأخير عالم الرحالة الذي يتضمن عناصر غريبة تعكس حضور العجائبي في النص الرحلي وتدل على انفتاح هذا المنتوج الفني على أفاق خارقة تتسم بصفة مافوق الطبيعي يتعامل معه المؤلف بحرفية عالية فيؤسس أرضية صلبة لهذا الأدب العجائبي الخاص به ويبحث وينقب هنا وهناك عن منجم العجائبية في أعماق الواقع ليزود فنه بلون آخر غير مألوف لدى القارئ و يستغل ما صادف الرحالة في مساره الرحلي دون أن يكلف خياله لابتكار عناصر عجائبية لا تمد بصلة بالواقع، لقد ورد في أدب الرحالة أحداث غريبة الأطوار أبطالها حيوانات خصها الله بقدرات مدهشة ليسخرها في خدمة الإنسان كما هو الحال الفرس الملقب بأعوج (وفي كتاب العقد لابن عبد ربه أن نبي الله سليمان ابن داوود عليه السلام وفد عليه للقدس أمها اصماره الأرد فلما أرادوا الرجوع قالو له يانبي الله بيننا وبين أهلنا مهامة فلا بد لنا من زاد فأعطاهم فرسا كان يسميه أعوج قال لهم إن احتجتم لعداء يركب عليه أحدكم فإنه مامن صيد يراه إلا اقتنصه ففعلوا حتى أتوا أهلهم وتسلوا من ذلك الفرس كثيرا)[1]

ومن هذا المنطلق نستنتج أن للعجائبية في الأدب الرحلي قد نوعت من الوسائل فلم نعتمد فقط على الشخصيات الآدمية من ولي وساحر وجني بل اعتنت بالحيوانات وهكذا تطور هذا الكون الأدبي وصير حقل العجائبية أكثر خصوبة وأخذ مفهوم العجائبي ليكتسي حلة مختلفة لأن هذا الأدب قد استخرج هذه المرة، كل ماهو عجيب من بطن الواقع وأقحمه في عالم الفن والإبداع ليتمخض عنه أدبا رائعا لروعة شخصياته العجائبية التي لم يبخل الرحالة في ذكر الوسائل الخارقة للعادة التي وضعت لخدمة الانسان والأمثلة كثيرة وخير مثال نستحضره في هذا السياق "الريح" التي تخضع لأوامر سليمان عليه السلام فتنقله حيث أراد على بساط عجيب بإذن الله (وأما الرخاء فهي الرياح اللينة من أي جهة كانت وهي التي كانت تتواجد بكرسي سليمان عليه السلام الذي فيه بساطه وقدمت حول البساط خشب وألواح حتى كان

[1]-عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص176.

سريرا يحمل جميع عسكره وقواته فتنقله من الأرض في الهواء ثم يتولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله إلى حيث أراد سليمان)[1]

[1]-عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص57.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : تمظهرات العجائبية في كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار – الجزء الأول

تمهيد:

لقد اتخذنا من كتاب «عجائب الأشعار و لطائف الأخبار » لأبي فراس الناصري منجما نستخرج منه معدنًا ثمينًا و المتمثل في «العجائبية» حتى نعطي لهذا المصطلح مفهومًا دقيقا و خاصًا بالأدب الرحلي .ما هو جدير بالملاحظة أن الكتاب القيم كان بمثابة روضة فاتنة مزهرة نمت فيها العجائبية لتكتسب معنى آخر ،فقد وظف الكاتب الرحالة باقة من العناصر المختلفة ذات البعد العجائبي حيث تجلت «العجائبية»في نصوصه تلك الشخصيات المثيرة من ولي وساحرة و جن استطاعت أن تبهرنا بقدراتها الخارقة التي ستعرضها في دراستنا الهادفة ،ولم يخلو هذا الكتاب من الأحداث الغريبة و الأماكن المدهشة و الوسائل العجيبة التي تكتلت كلها ليشيد بها أبي فراس هرما أديبًا عجيبًا لا نديد له .

لقد كان أبي فراس فطنًا في رحلته ،منتبها إلى كل ما تجود به رحلاته ،فاعتبرت الرحلة العمود الفقري الذي يرتكز عليه فنه ،فاتخد من البلدان الإسلامية نقاط عبور هامة سمحت له نقل تلك المشاهد و الأخبار ذات صبغة هجائية إلى القارئ ،و قد استحضر خاصة الماضي العريق للمغرب العربي الأندلسي ،فقد سعى الكاتب إلى تعميق معارف المستمع حول تاريخ هاتين المنطقتين التي كانتا بمثابة حقل خصب غدت رحلته فتطرق إلى تفاصيل كثيرة تجعل القارئ يدرك أن العالم الإسلامي عظيم بعظمة أماكنه و شعبه فأتاح له الفرصة ليتوغل في أدغال هذا العالم لاستخراج كنوزه و الكشف عن خفاياه و عجائبه التي أثرت على الكاتب فاتضح جليا من خلال إعطائه بعدًا أخر للهجائية ،و لهذا ينبغي أن يتسابق على كتابه رجال الفن و العلماء و القراء ليستمعوا إلى ما يروي ظمأها

و قد سمح هذا الكتاب من إعادة النظر في مكانة العالم الإسلامي بصفة عامة و في كتاب هذا الرحالة من جهة أخرى،لا ريت أن العالم الإسلامي الحافل بمعالمه و عمرانه و طبيعته

و ثقافته كان تأثيره في أدب الرحالة أعمق و أبعد غورًا،مما يدفعنا لتغيير تلك النظرة السوداء و السلبية على هذا العالم بل لابد من استكشاف دفائن العجائبية و استخراج دقائقها ،فقد نزود الرحالة محصوله الأدبي من تلك المناطق الإسلامية و معتقداتها ليشهد ذهنه و دهن الأدباء من حوله ،فاشتق من ذلك منظور جديد حول العجائبية و ما قد تحمله من دلالات ،و هذا ما دفعنا إلى تنظيم هذه الدراسة حول هذا الكتاب الذي اعتبره البغض بسيطًا ، ولكن في الحقيقة لقد أبدع أبي راس في في ابراز أن العجائبية أصناف .و ما درسنا هذه الا حلقة تربط بين الواقع و الأدب الرحلي ان يتكرر معنى أخر للهجائية من وحي الحياة الحضارية و العقائدية و الثقافية التي عاشها المسلمون ،ففتحت عيوننا على أدب غزير العجائب يلائم أدواق القراء المرهقة ،فمن خلال هذه الدراسة وجب علينا دعم الكاتب بعرض قراءة جديدة و عميقة تعرض كل جوانب العجائبية التي تضمنها هذا المنتوج الأدبي لنتخطى الحدود التي وقف عندها الأدباء و نفسح مجالا واسعا لتناول أدبه و يجنح القراء الى مطالعة كتابه ،فلنجتاح مع الرحالة هذه البلدان التي تزخر بالعجائب لفك شفرة مفهوم العجائبية عنده ونمتع انفسنا في هذا البذخ العجائبي و الشرف الأدبي الذي هيئه لنا كاتبنا و لنعترف من أدبه الغزير ،لنفحص كتابه لنستنبط كل ما يتعلق بالعجائبية في أدب أبي راس الناصري.

المبحث الأول : الشخصيات العجائبية

لقد ورد في الأدب الرحلي عدة شخصيات أدبية أثرته باعتبارها مخالفة للمألوف والمعهود، فهي شخصيات غريبة صانعة للأحداث الشيقة بسبب تأثيرها على الواقع بشكل عجيب واكتسابها لقدرات خارقة تبهر القارئ فتدهشه كما تدوخ العقل فتزلزل منطقه، ورغم ذلك فهو يعجز أن يكذّبها، و من هذه الشخصيات التي غزت الأدب العجائبي التي جعلت القارئ يسبح في بحر الحيرة والاندهاش شخصية الجن و الولي و الساحر.

1-1 الجن

يعتبر شخصية غيبية عجيبة التي كثيرا ما ميزت رواية الرحالة الذين جابوا الأرض وشتى البقاع ، فهي شخصية أتحفت الأدب الرحلي بصفاتها عجب العجائب حيث يظهر الجن في هيئة إنسان أو حيوان كالثعبان غالبا، كما جاء على لسان شيخ أشياخنا العلامة يحي بن سعيد الجزائري «أنه قتل ثعبانا فإذا هو جني فاختطفه جني آخر قريبه وألقاه في أودية الجن فدخل بعدوة اعني في محل فوجد شيخا كبير السن وكأنه القاضي شمهروش فقصّ عليه الحال فقال له إذا أقبل سلطان الجن فقف واطلب الشرع ، فلما أقبل وقف عليه الإنسي وشكا من الجنيّ فأحضره السلطان وسأله عن موجب خطفه الإنسي فقال لقتل أخي فقال الإنسي إنما قتلت ثعبانا ...رويت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال تصور على غير شكله فدمه هدر ».

فالجن من خلال هذه الحكاية المروية مخلوقات لها القدر على تغير شكلها فقد تظهر للإنسان في صور الكائنات الحية دون أن يميز بينها ، أي يعجز المرء أن يحدد ما هو جن و ما هو طبيعي من إنس أو حيوان، وهنا يصعب على الإنسان أن يحل مثل هذه المعادلات التي تساوي ما هو طبيعي وماهو فوق الطبيعي، لأن عناصر الطرف الأول من المعادلة ينتمي إلى واقعنا المألوف المتمثل في الحيوان والإنس أما عناصر الطرف الثاني من نفس المعادلة فهو ينتسب إلى عالم غيبي، فلهذا صُنِّف الجن ضمن الشخصيات العجائبية.وهكذا لم يسلم الأدب الرحلي من قصص الجن التي تعددت وغدت هذا اللون الأدبي بأعاجيب أبطالها الجن بقدراته المتنوعة التي يصعب على العقل تصديقها فيسلم بها رغم غرابتها، وخير مثال نضربه في سياق هذا الحديث حديث خرافة. «و حديث خرافة ، هو

رجل من بني عذرة سبته الجن وكان معهم فإذا استرقوا السمع ، أخبروه فيخبر به أهل الأرض فيجدونه كما قال : هكذا أخبره به النبي صلى الله عليه و سلم و قال لهم أصدق الحديث حديث خرافة»[1].

2-1 الولي

ومن أبرز الشخصيات العجائبية التي أغارت هي الأخرى على الأدب الرحلي فاخرت حسدو لها بقوة بفضل مامن من الله عليه من كرامات و بركات تجعل أعمالهم خارقة بسبب معجزات رفعت من شانهم و جبت الخلق فيهم و كأنهم سراج يشع بالامل ينير البشرية و يخففون عن الناس همومهم و يلبون حاجياتهم بتحقبق مطالبهم حتى صارت هذه الشخصية الاكثر فعالية اتصفت بالنجومية لما لها تاثير كبير على الناس المولعين بها فاصبح وجودهم ضروري لحياة العباد حتى بعد مماتهم ،حيث لا يستطيع الناس الاستغناء عنهم و لا عن بركاتهم فقاموا بتشيد أضرحت لهم لزيارتهم لعل ذلك ينفعهم في حياتهم .و هكذا احتل الولي مكانة سامية في الدب الرحلي باعتباره العنصر المشوق الذي يكسوه بثوب مختلف و يعطيه لونً مميزًا يجعل هذا الأدب حافلا بالعجائب و الغرائب فنعتبره حقلا خصبا يستقطب القراء من كل صوب لاكتشاف عالم غريب يسر فضولهم و يشبع رغبتهم في نبش الماضي لمعرفة حقيقة الاولياء و مقدرتهم على تغيير مصائر الناس بفضل الله عز وجل ، فلم يقتصر تاثير الاولياء على العباد فقط بل تخطى الحدود ليؤثر بشكل واضح و جلي على الأدب الرحلي الذي انفرد بهذه الشخصيات العجائبية و من اخبار الاولياء التي وردت في الأدب الرحلي خبر الولي الصالح السيد ابلاحة الذي بفضل قربه من الله استجاب الله لدعائه و بالتالي استطاع أن ينقذ ابنته الثالثة التي اسرها النصارى (فأسروا الولي الصالح السيد ابلاحة وبناته الثلاثة فبقوا بوهران سنة ثم فداه وفدى إحدى بناته ابو عزة بن حميدة شيخ أولاد سليمان وفدى الأخرى الشحط شيخ أولاد علي والد دموش. فزوجها له وبقيت الثالثة فكثر

[1] عجائب الاسفار و لطائف الاخبار ص 168.

بكاء أمها عليها ، فخرج أبوها لساحة بيته فتوضء ودعا الله وإذا بها مقبلة فقال لأمها ، أخرجي لإبنتك فسئلت فقال إني أمشط رأسي فنقر فيه طير أبيض فتبعته حتى أوصلني).[1]

ولهذا خلد الأدب الرحلي أولياء صالحين فذكر أسماءهم وسرد كل ما صدر عنهم من أعمال خارقة ومعجزات وكرامات ميزتهم عن باقي العباد ، وتعظم طاقتهم بسبب زهدهم وتقربهم من الله عز وجل والإخلاص له إخلاصا كاملا، وقد استجاب الله لدعاء هؤلاء الأولياء في العديد من المواقف وحقق لهم مأربهم، وخير دليل على ذلك هو دعاء الشيخ الهواري على أمير وهران فاستولى عليها الكفرة وهذا بعد تعرضه للظلم من قبل بنو زيان بعدما قتلوا إبنه وحاولوا قتله هو الأخر، كما جاء في كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" (وكان سبب أخذ النصارى لوهران ، دعاء الشيخ الهواري بذلك لما قتل بنو زيان ولده وحظر لهذه الدعوة سيدي علي الأصقر التلمساني وأنذرهم تلميذه الشيخ إبراهيم التازي بقصيدة تائية مع ما إلى ذلك من أن الشيخ أبا العباس سيدي بن يوسف أحد الأولياء الكبار والأتقياء الخيار، الهواري وطنا الوانودي أصلا نفعنا به الله، آمين ، ذهب مرة إلى وهران فعظمه أهلها أشد التعظيم فكتب قائدها للأمير الزياني إن رجلا بأرض هوارة يخشى منه الملك فكتب الأمير لقائده " ابعثه إليّ أو أقتله " فلما أتى الشيخ أهله برأس الماء بعث العامل لأمير هوارة : أحمد بن غانم في الشيخ فاطلع الشيخ على ذلك ، فارتحل من وطنه وقال : شوّشونا شوّشهم الله من البر والبحر، فلم يكن إلا قليل حتى شوّش الله بني زيان من البحر بالكفرة فأخذوا وهران ، ومن البر بالأتراك فاخذوا تلمسان)[2].

ولم تقتصر قدرة هذا الولي الصالح في استجابة الله لدعائه، بل خصّه الله بعدة معجزات نفعته في دنياه ونفعت الناس بفضل الله، فقد تمكن هذا الشيخ الولي من كيد الأعداء وهكذا نصره الله عليهم وأنقذه من موت محقق كما ورد في الأدب الرحلي (فرحل الشيخ قاصدا بني غدوّ واعترضه محاربون من سويد ، فقبض ثلاثة أحجار من الصم وحكّها بيده فصارت رمادا وقال لهم : "إن تعرضتم لنا يسحقكم الله مثل هذه الأحجار فأتوه تائبين مذعنين، وذكر

[1] المرجع نفسه ص 130.

[2] عجائب الاسفار و لطائف الاخبار ص 112.

الصبّاغ إن له بنتا حينئذ إسمها عائشة وكراماته لا تحصى توفي رحمه الله سنة 931 ، وقبره بمليانة من أعظم المزارات ")[1].

فما أكثر الأولياء الذين زخر بهم الأدب الرحلي وأعظم كراماتهم ومعجزاتهم التي أدهشت الناس وفاقت قدرات الملوك والأمراء، فتفوق الوالي بسلطانه على الملك وجنوده لكونه أهل للبركة والخير وبهذا اشتد تأثيره على الناس وخضعوا له، وخير ما نسرده رواية الولي الشيخ محمد الهواري .(فكان له به الإشارات الجسام التي لا يقدر عليها الملوك العظام يحكى أنه كان يستقرض الدراهم الكثيرة من التجار ويصرفها في هذا البناء ولا يدري من أين يوفي بذلك ، ولما تم بنيانه وصوب ميزانه وأرصد مكانه، أخرج للناس الأطعمة المختلفة الأنواع والألوان فشبع كل من كان بثغر وهران ، وكان ذلك اليوم المشهود من الأعياد والمراسم ممدودا ، فقيل له : من أين أخرجت هذا الطعام وما صرفت على البناء ولست من الملوك والأعيان والأغنياء ، فقال: الله منه ، مساعدة الزمان ومساعفة الإخوان)[2]، وفي هذا المضمون نستنتج أن الولي شخصية عجائبية طغت على الأدب الرحلي، فأكثر الرحالة في سرد أخبارها بقوة لكونها الشخصية السائدة والمتداولة بكثرة من طرف الرحالة ، ويعود هذا لانتشار الأولياء الصالحين انتشارا كبيرا في العالم الإسلامي، وامتلاكهم لقدرات جعلت الناس يلتفّون حولهم، فقد أثّرت هذه الشخصية " الولي " على الأدب الرحلي فشدّ القراء بدورهم الرحال باتجاه العالم الفني الذي يبرز فيه الولي.

1-3 الساحر

إن اهتمام الأدب الرحلي بهذا اللون "العجائبي" دليل على ارتباط الأدب بالحياة الاجتماعية ارتباطا وثيقا، وارتوائه من ينابيع التجربة الإنسانية التي لا تخلو من معارك الدهر الطاحنة، التي يخوضها المرء محاولا النجاة من المشاكل والخلاص من شرط المصائب، باستخدام كل الوسائل المباحة وغير المباحة لعل بحر الحياة يقذف به إلى شاطئ الأمان والأمل، فلا يهم أن يكون المنجد ساحرا رغبة في الظفر بلعبة الحياة فيلجأ بالتالي إلى هذا الساحر ليحل له مشاكله بطريقة أو بأخرى، كما وقع لسليمان الخوزي وزير أبي جعفر

---

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[2] عجائب الاسفار و لطائف الاخبار ص 113.

المنصور الذي استعان بالسحر حتى يأمن من شر المنصور ويسلم من كيده فكان له ذلك حسب الرواية التالية (والقسر المراد به القهر ومن لطيف ما يناسب ويليق بهذا المعنى أن أبا أيوب سليمان الخوزي وزير أبي جعفر المنصور لما فسدت نية المنصور فيه كان يضن أن يوقع به، وما من دخول يدخل عنده إلا في شدة الخوف ثم يخرج سالما فقيل له كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه السحر فكان يدهن به حاجبيه إذا دخل على المنصور)[1].

فالساحر شخصية عجائبية قد لعبت دورا فعالا في تزويد الأدب الرحلي بقصص لهذا الساحر الذي يمتلك قدرات خارقة وبراعة كبيرة في تغير الأشياء لتحقيق أغراضهم.

إن توظيف الساحر في مثل هذه الأعمال الإبداعية الفنية كان أمرا حتميا نتيجة انتشار السحرة انتشارا واسعا، وانبهار الرحالة بأعمالهم السحرية التي تعد دربا من الخيال، فالسحر لدى الساحر شبيه بالكرامة لدى الولي، فللساحر طاقة خارقة يستمدها من مصدر غيبي أو قد يستعين هو الأخر بالجن لتتصف أعماله بالغرابة ولكنها تبقى فعالة حيث تغير الأمور وتلطف الأجواء ، فلهذا اخد الناس يستخدمون السحر أو يطلبون الساحر ليقدم لهم خدمات لعلهم يدركون أهدافهم في الحياة، ولهذا نجد الرحالة قد تطرقوا إلى هذه الشخصية الغريبة والمثيرة لما لها من فعالية في حياة الشعوب، كما لها وظيفة هامة في الأدب الرحلي الحافل بقصص السحرة وأعمالهم الخارقة التي عدت هذا البعد العجائبي حتى صار القارئ متلهفا هو الآخر على مطالعة الأدب الرحلي.

فهذه الشخصية العجائبية تمنحنا نفحة جديدة للأدب الرحلي حيث أشرك الإنسان الساحر بهمومه واعتقد أنه لا مفر له بالتسليم بحقيقة السحر، لأنه يعتبر في نظرهم مفتاح للنيل من نعيم الدنيا، وجسرا للعبور إلى شاطئ الأمان والفلاح. فقد اشتبكت هذه الشخصية العجائبية في صراع حاد مع الواقع لتفرض نفسها كحقيقة أجبرت العقل أن يسلم بها، لأن لها مفعولا شديدا على أرضية الواقع وعظيم على الأدب باعتباره مشوق. قد يتوقف الساحر في مواقف عدة في إخفاء الأثر وبالتالي تمويه الناس كما ورد في روايات الرحالة أن بعض العباد قد ابتدعوا السحر وعملوا به لكونه مترسخا في معتقداتهم. وخير ما نذكر في هذا السياق ما وقع لرجل من أكابر دولة الملك الذي خاف من عقابه فاستخدم السحر ليتجنبه

[1] المرجع نفسه ، ص155.

لعله ينقذ نفسه من هذا المأزق فكان له ذلك(إن ملكا كان أبو جعفر المنجم متصلا بخدمته طلب رجلا من أكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة فاستخفر فأراد الملك منه أن يعمل ما يهتدي إليه، وعلم الرجل أن أبا معشر يستخرجه بعمله فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدي ويبعد عنه حسده فأخذ طستا ووضع فيه دما وجع في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما، ولما عجز الملك عن طلبه قال لأبي معشر عرفني أين موضعه بعلمك فسكت زمانا متحيرا فقال الملك ما سبب سكوتك وحيرتك فقال أرى شيئا عجيبا فقال ما هو؟ قال الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم، فحيل الذهب جزيرة بحر من الدم ،لا أعلم في أرض الله موضعا على هذه الصفة)[1] فقنط الملك و تخلى عن ملاحقة الرجل خاصة بعد عجز أبي معشر كبير المنجمين لأول مرة عن إيجاد أثر الرجل، فاستغرب الملك واستسلم للأمر (فلما أيس منه الملك نادى في البلاد بالأمان للرجل ولمن أخفاه وأظهر في ذلك ما وثق به، فلما اطمأن الرجل وحضر بين يدي الملك، فسأله الملك عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما عمل، فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ولطافة ابي معشر[2].

نتائج و استنتاجات:

في نهاية هذه الدراسة توصلنا إلى تلخيص ابرز الخصائص التي اتصفت بها العجائبية عند أبي عراس الناصري تعكس رؤيته الجمالية و تفرده عن غيره ،فقد سخر كل الوسائل من شخصيات عجائبية وأدوات غريبة وأماكن وأحداث مدهشة وكلها انصهرت في بوتقة العجائبية. وبلغة أخرى فقد تمكن الرحالة من تهذيب مفهوم العجائبية من خلال اللجوء الى الواقع و تقريب معناه إلى دهن المستمع .

فعلا لقد توافرت دنيا أبي راس أثناء رحلته على العجائبية من كل صنف فاعتبر منتوجه الفني بمثابة متنفس للهموم و حديقة تتسلى فيها عقولنا دون ان نهجر الواقع فالأمر مختلف تماما بالنسبة للهجائية المألوفة الأخرى التي ترحل بنا إلى فضاء الخيال.

فقد اتخذ الكاتب وسيلة أكثر فعالية للإقناع و التأثير على القارئ من جهة و استقطابه من جنة المتعة و التشويق من جهة أخرى .كما ينبغي أن نضيف أن العجائبية في هذا المنتوج

[1] عجائب الاسفار و لطائف الاخبار ص 66.

[2] المرجع نفسه ، ص 67.

الأدبي هي وليدة حوادث الدهر و تجاربه و أبطاله ،و لهذا فقد فرض كاتبنا منظورا أخر للعجائبية استورد ثرواتها و معادنها من الواقع و بالتالي توصل إلى محاكاة الواقع بطريقة لا مألوفة و استنطاق عجائبية في قالب فني بديع .وهدا ما يدفعنا إلى النطق بحكم جرئ فهذا السياق ومن خلال هذه الدراسة يمكننا القول بان العجائبية عملة واحدة بوجهين مختلفين ومن هنا نستنتج أن الأدب الرحلي الغربي كان له الفضل في إبراز هذا الجانب العجائبي و المساهمة فقاله في تطوير الأدب بتقديم إضافات صبت في بحر الأدب، فاستحق منا أبي عراس كل التقدير.

الخاتمة

خاتمة

من خلال ما سبق في بحثنا هذا نستنبط مجموعة من النتائج و التي من بينها:

1- مفهوم العجائبية يختلف من رحالة إلى آخر حسب ما تجود به الرحلة من وقائع ومشاهدات و أحداث تخرج عن دائرة المألوف أي تتصف باللامألوف.

2- تتسع فجوة الاختلاف في تعريف العجائبية باختلاف ثقافة الرحالة ومقارنته بين المكان المعروف لديه و الأمكنة الأخرى التي يعتبرها الرحالة فوق الطبيعي لأنه لا يصادف مثل هذه المشاهد من قبل ،فمثلا عند انتقاله من بلاد إلى بلاد أخرى ،قد يتأثر بها و تزعزع كيانه بمجرد أنها تندرج في اللامألوف بالنسبة لديه، و دفعه لتدوين ذلك في كتبه لأنه لم يسبق له مشاهدة دلك من قبل.

3- كما نستنتج أن العجائبي هو ثمرة اصطدام عنيف بين مشهد مألوف أي صورة مألوفة لدى الرحالة و مشهد أخر غير مألوف و صورة غير مألوفة في مخيلته فيتفاعل معها الرحالة و يلتقط هده الصور ويدونها ضمن ما يعرف بأعاجيب رحلته.

4- من بين أهم غايات الأدب الرحلي التعجب من العالم الموجود الذي يزخر بالعجائب و الغرائب لابتكار عالم عجيب بشخصياته الوهمية ، فقد حول الواقع إلى مسرح للعجائبية ، بالاستعانة بعناصر تنتمي إلى الواقع كالأماكن و المعالم العجيبة و الأحداث الغريبة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن منظور ، لسان العرب.

2- السيوطي جلال الدين، المحلي، تفسير الجلالين، دار ابن كثير، ط1، 1993.

3- ابراهيم الأنباري ، التعريفات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1، 1405هـ.

4- القزويني زكريا، عجائب المخلوقات ، د.ط

5- ابن فارس، أبي الحسن، أحمد بن زكريا، محمل اللغة، ت. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط2، 1986، ج3.

6- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، تزمهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الإعلامي للمطبوعات ، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج1.

7- الخامسة علاوي، العجائبية في أدب الرحلات ، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2005.

8- تزفين تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر:الصديق بوعلام، ط1، مراجعة محمد برادة، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة 1994.

9- محمد سالم محمد الأمين، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقيا السرد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1،2005.

10- شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية ، دار الحرف للنشر والتوزيع، المغرب، ط2، 2007.

11- صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ، دار منشأة المعارف، مصر ط2، 1999.

12- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس وآليات الكتابة وخطاب المتخيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ط ، د.ت

13- الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة الدعوة الإسلامية ، مصر.

14- صلاح الدين الشامي، عالم الفكر 1983، الكويت.

15- ياقوت الحموي،معجم البلدان ، دار صابر ، بيروت، لبنان، 1986.

16- أبوحيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، بيروت، 1953.

17- أنيس منصور، غريب في بلاد عربية، دار الشروق، مصر، 1975.

18- جميلة روباش، أدب الرحلات في المغرب العربي، 2015

19- ابن فارس ، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، "مادة رحلة"

20- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دار النشر للجامعة المصرية، مكتبة الوفاء، مصر، ط1، 1415هـ، 1995.

***** فهرس الموضوعات *****

مقدمة .....ج
الفصل الأول : ضبط مصطلح العجائبية و الرحلة في اللغة و الاصطلاح 8
المبحث الأول : مفهوم العجائبية 8
أ- لغة : 8
ب-إصطلاحا.....9
المبحث الثاني : مفهوم الرحلة و أنواعها 12
تعريف الرحلة 12
أ- لغة 12
ب-اصطلاحا 13
أنواع الرحلة 15
1- الرحلة ، الحقيقية 16
2- الرحلة الخيالية 16
أسباب الرحلة 17
المبحث الثالث : العجيب المكاني 19
المبحث الرابع : العجيب الزماني 12
المبحث الخامس : العجيب الأداتي
الفصل الثاني : ثم ظهرت العجائبية في كتاب عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ...27
تمهيد 27
المبحث الأول : الشخصيات العجائبية 29
1-1- الجن.....29
1-2- الولي 30
1-3- الساحر 32
نتائج واستنتاجات 34
خاتمة 37
قائمة المصادر و المراجع 39